

محاضرة 6: التحليل النفسي للأطفال (التوجهات النظرية الكبرى)

تمهيد:

يعتبر التحليل النفسي للأطفال أحد الأوجه التطورية لنظرية فرويد، مر بعدة مراحل بداية بتحليل حالة "هانز الصغير" من طرف "سيجموند فرويد"، ثم أعمال كل من "أنا فرويد" و "ميلاني كلاين" و تلاميذهما و محللون آخرون، الى الاستعمال الحالي لفرضيات التحليل النفسي في مجال التربية و التعليم و رعاية الطفولة. سنعرض في هذه المحاضرة أهم الآراء النظرية التي اهتمت بشرح خصائص التحليل النفسي عند الطفل وأهم الاختلافات فيما بينها.

1- أشهر التوجهات النظرية في التحليل النفسي عند الطفل:

1-1 تحليل حالة الطفل "هانز":

قام فرويد بتحليل طفل عمره 5 سنوات بطلب من أب الطفل و نشر بحثا حوله في 1909، حيث كان الطفل يعاني من الخوف من الخروج من المنزل و توهم أن الخيل ستعقره لو صادفته. تتلخص حالة الطفل "هانز" في أنه كان يعاني من ازدواج المشاعر اتجاه أبيه و كان يحب أمه كثيرا و قد دفعه خوفه من الخروج الى البقاء مع أمه كما أنه أزاح به كراهيته لأبيه و خوفه منه الى كراهية و خوف من الخيول. تجدر الإشارة الى أن فرويد لم يعالج الطفل "هانز" مباشرة و انما عن طريق والديه و خاصة أبوه، حيث جلس معه فرويد عدة جلسات و علمه تقنيات التحليل النفسي و كيفية التعامل مع ولده لينفذ الى أعماقه و يجذبه إليه. هذا ما دفع بعضهم الى القول أن فرويد لم يحلل هذا الطفل و أن بداية التحليل النفسي للأطفال الحقيقية بدأت مع "ميلاني كلاين" و "أنا فرويد".

2- التحليل النفسي عند ميلاني كلاين: تقوم طريقتها على استبدال التداعي الحر عند الراشدين باللعب

الحر عند الطفل و تركز كلاين على مراقبة الطفل و هو يختار ألعابه و طريقتة في التعامل مع الدمى و في تصريفه لقلقه و في تعبيره عن مكنوناته من خلال ألعابه الايهامية و طرحه لتخيلاته. عكس فرويد فان كلاين قالت بنمو أنا أعلى عند الطفل قبل سن 5 سنوات و أن عقدة أوديب تحدث قبل 3 سنوات و عليه امكانية تحليل الطفل نفسيا في هذه السن. ان الشرط الأساسي لتحليل الطفل يكمن في الفهم الجيد للمادة التحليلية التي يقدمها لأنها ستطلعنا على بنية شخصيته و على الوضع الحالي لحياته العاطفية و كذلك على ادراك مباشر لنوعية مشاعر القلق و الذنب التي تنتابه. ان الالفاظ المستعملة بالتأويل يجب

أن تناسب النمط الحسي للتفكير و التعبير عند الطفل. بعض الاطفال يفضلون ألعاب الخيال مثل لعبة السفر بالقطار، هذه الألعاب تستمد قيمتها بالنسبة للمحلل من صفتها الرمزية المباشرة و من غناها الخاص بالتداعيات اللفظية التي تثيرها.

3- التحليل النفسي عند "آنا فرويد": تخصصت بتحليل الأطفال الكبار و كانت توجهاتها توجهات بيولوجية مثل أبيها، إلا أنها اهتمت باعطاء دور أكبر لنا في الحياة النفسية و في العلاج النفسي و قالت بعدم امكانية تطبيق التداعي الحر على الطفل و انما تطبيق اللعب مثل كلاين إلا أنها خالفتها في عدم الاقتصار على الجلسات العلاجية مع الطفل لوحده و انما لابد من استشارة ذويه و مراقبة تفاعلاته معهم و مسائلتهم حول مختلف المواقف التفاعلية مع طفلهم. يمكن تحليل أحلام الطفل كذلك حسب "آنا فرويد"، لأنه يستطيع رواية أحلامه، ألا أنه لا يمكن أن يعلق عليها ليكشف عن مضمون الحلم الكامن و على المحلل أن يعتمد على نفسه فقط ليربط بين ظاهر الحلم و ما يعرفه هو نفسه من حياة الطفل.

4- التحليل النفسي عند "دونالد فينيكوت": جمع "فينيكوت" في تحليله للأطفال بين التواصل المباشر مع الطفل، عن طريق اللعب، الكلام و الحركات و التواصل الغير مباشر عن طريق التحاور مع الأم بحضور الطفل. هدفت جلساته العلاجية الى تحقيق أهداف دقيقة و فورية: "الى ما يحتاج العميل هنا و الآن؟ و ما هي الطريقة الأقصر نفسيا و ماديا لمساعدته؟". استعمل "فينيكوت" أساليب التفاعل اللفظي، و الجسمي (مع الرضع خاصة) و الخطي مع الطفل في أثناء لعبه معه و من بين التقنيات العلاجية التي استعملها تقنية "لعبة الخريشة Squiggle game".

5- التحليل النفسي عند "روني سبيتز": استعمل سبيتز الملاحظة المباشرة للرضيع و الطفل الصغير في وضعيات معينة مع أو بدون أمه. استعمل كذلك التسجيل عبر الفيديو في ملاحظاته و التجريب و الاحصاء. اعتمد في تحليله للأطفال على كل المعلومات التي يستتبطها من الملاحظة المباشرة في اعادة بناء علاقات عاطفية سليمة بين الطفل و أمه.

6- التحليل النفسي الجماعي للأطفال: من أهم تقنياته، "العلاج الجماعي عن طريق اللعب ل "اكسلين"، تهدف هذه التقنية الى تحقيق التفاعل بين أعضاء الجماعة، هي تسمح بوجود العدوان الفيزيقي بين الأطفال و تفرض قيودا على تدمير اللعب في فترات محددة. ترى اكسلين أن العلاج الجماعي أفضل لمشكلات التوافق الاجتماعي عند الطفل. هناك ايضا تقنية "العلاج الجماعي عن طريق النشاط"، يقوم

الأطفال بصنع أشياء من المواد التي تتوفر لديهم، على أساس من السماح التامة و عدم وجود اية قيود بالاضافة الى أن توزيع المهام بينهم من تقرير الأطفال ذاتهم.

2- استعمالات التحليل النفسي عند الطفل:

أصبح للتحليل النفسي استعمالات عديدة و متنوعة من غير العلاج النفسي للأطفال، أصبح كذلك يستعمل من اجل رعايتهم الصحية، حيث اصبح من الضروري أن يلم كل من يتصل بالأطفال من ناحية التطبيب أو التمريض و غيره بمبادئ التحليل النفسي إماما يؤدي على الأقل الى أن يدرك أخطار بعض التصرفات على الحياة النفسية للطفل. أصبح يستعمل كذلك في مجال التربية، عن طريق مراعاة الجوانب اللاشعورية و الشعورية للطفل في أثناء العمل على بناء شخصيته المستقبلية و في مجال التعليم و التدريس، عن طريق معرفة أن النزعات البدائية الصرفة قابلة للاعلاء في مختلف النواحي الفكرية و أن النفس تنزع الى تحويل النزعات البدائية الى شغف بمختلف العلوم و الفنون. أستعمل التحليل النفسي في مجال الصحة العقلية، عن طريق اظهار اثر العوامل التي ترجع الطفولة الاولى في الاصابة بمختلف الاصابات الجسمية و العقلية و الانحراف و الادمان، حيث أصبحت معاملة الطفل في هذه الفترة أساس لصحته و سلامة عقله.

خلاصة:

نستخلص من هذا أن التحليل النفسي للطفل بدأ بظهور التحليل النفسي عند الراشد لكنه سرعان ما انشق عنه بفضل محللين نفسانيين و ان اختلفوا فيما بينهم في بعض النواحي إلا أنهم قاموا بتحديد مفاهيمه النظرية و وضعوا له تقنياته الخاصة به و بينوا سيرورات اجرائه العامة، التي سنبينها في المحاضرة اللاحقة.

